٨

علم نفس قرآني جديد

رجال الصابات

كتبت الصنداى تايمز فى صفحتها الأولى صباح الأحد ٣ مايو الماضى عن تحقيق يجرى عن الدعم العسكرى الذى قامت به الحكومة البريطانية، لإسقاط نظام الرئيس بول كوروما رئيس سيراليون، ويتضمن الدعم تدريب أربعين ألفا من الميليشيات المحلية بالتعاون مع قوات نيجيرية وتوريد شحنات من المدافع من المجر مع ذخائرها وعدد من الجنود المرتزقة وكان الوسيط فى العملية هو الضابط ليوتنانت كولونيل تيم سبيسر، وهو ضابط متقاعد من أصل بوسنى فى جيش فوكلاند ومدير لشركة ساندلاين البريطانية وكان الثمن المدفوع عشرة ملايين جنيه استرلينى قدم عن طريق تسهيلات وخصومات فى صفقات الماس.

وكانت نتيجة هذا الإنقلاب هى مائتين من القتلى وفرار الرئيس كوروما وعودة الرئيس القديم المخلوع أحمد تيجان.

والعملية مخالفة صريحة لقرارات الأمم المتحدة التى صدرت فى أكتوبر برقم ١١٣٢ والتى تنص صراحة على عدم جواز التدخل العسكرى بالمال أو السلاح بهدف إحداث الانقلابات فى الدول التى تمزقها الحروب.

والعملية تعود بذاكرتنا إلى عملية قريبة فى زائير هى خلع

العميل الفرنسي موبوتو سيسيكو التي قامت بها أمريكا بمساعدة إسرائيل وإحلال عميلها كابيلا مكانه.. وإلى ذكريات سابقة أليمة في رواندا وبوروندى بعد سقوط طائرة الحاكم وحروب الإبادة التي اشتعلت بين قبائل التوتسي والهوتو وبلغت ضحاياها مليون قتيل.

والذاكرة تعود بنا إلى موضوع أكبر وأخطر هو ملف التحقيقات الذى فتح فى عهد تاتشر للتحقيق فى صفقات السلاح التى أرسلتها انجلترا إلى الرئيس العراقى صدام حسين أيام حرب العراق مع إيران.

وأقرب إلينا من هذا عملية استدراج عبدالناصر إلى حرب ٦٧ وهزيمته أمام جيش إسرائيلى مدعوم بالطائرات والدبابات من أمريكا.. ويتكرر نفس الشيء في الحروب التي تجرى الآن فى جنوب السودان لضرب الحكومة الإسلامية هناك وهى عمليات تجرى جميعها فى سياق واحد،هو إدارة وصناعة الانقلابات فى الدول النامية بهدف إخضاعها واستنزاف خيراتها ولو أدى هذا الاستنزاف إلى ملايين القتلى وإلى تخلف هذه الدول النامية وسقوطها وراء التاريخ.

يجرى كل هذا تحت شعارات كاذبة وإدعاءات زائفة متكررة من الغرب بأنه حليف وصديق ورسول سلام وتقدم وتمدن وأنه رمز القانونية والإلتزام.. وأنه هو «النظام العالمى الجديد» الأمثل.

هكذا يتكلمون دائما ولكن أفعالهم تقول دائما شيئا آخر.

فوراء كل هذه الانقلابات أطماع فى أسواق هذا العالم النامى

وبترولـه وكنوزه من الذهب والمـاس واليـورانيوم.. واطمـاع فى أرضـه.. وفى مستقبله.. وفى أقواته.

وبين الصورة الظاهرة «والنيـجاتيف» الحقيـقى للنوايا.. فارق الظلمة من النور والباطل من الحق.

ويتطور التاريخ لتقوم بهذه العمليـة القذرة الآن شركات كبرى للتصدير والاستيراد وعملاء وعصابات إرهابية لتدريب المرتزقة.. بدلا من أن تخوض الدول الاستعمارية صـاحبة المصلحة حروبها علانية كما كانت تفـعل فى الماضـى.. ومن الشركات الأجنبية الآن ما تزيد ميزانياتها على ميزانيات دول.

وما جرى فى الأقـصر وما يجرى فى الصـومال وما يدور فى الجـزائر.. نمـاذج أخرى من هذه المـخـاطرات المحـسـوبة التى تباشرها الدول الكبرى بهـدف التهديد أو الإنذار أو لفت النظر إلى أن هذا الحـــاكم أو ذاك قـد ذهب أبعـــد من اللازم فى تطلـعـاته الوطنية.

وفى الملف الاستعـمارى تطور أخطر وأكثر خفـاء.. هو تدمير ثقافة الدول النامية وعقائدها وأديانها.. والتوصـيات التى تقدمت بها أمريكا للوزارات المختصة بإلغاء مادة التربية الوطنية من كتب أولادنا وإعـادة كتـابة التـاريخ، ومحـاولة طمس مـراحل بعينهـا وتخفيض حصص اللغة العربية وشطب غزوات النبى عليه الصلاة والسلام لليهـود ومحاولة محو الذاكـرة التى تخص هذه الحروب بحـجة أنهـا تربى الكراهيـة والنفـور الذى لا يصح أن يكون بين أصدقاء أحباء يسعون إلى السلام «وأين هو ذلك السلام؟؟!»

ولا مـانع من أن يصبـح شيخ الأزهر الجـديد هدفـا لكل زائر

أمريكى كبير وافد.. فالأزهر نفسه وهو قلعة الدين وحصنه الحصين والذاكرة الأمنية لكل علومه الأصولية.. هو الآن الهدف الأول المطلوب هدمه.. فكيف يكون «الكتاب» الذى يلعن اليهود ويفضح فسادهم وافسادهم.. كتابا مقدسا عظيما اسمه القرآن يتلى فى كل بيت ويدرس فى كل معهد دينى.. وكيف يكون من يلعن اليهود ومن يبشر إسرائيل بالفناء هو الله نفسه.. ويكون لأى يهودى بعد هذا أمل فى إسرائيل كبرى أو صغرى.. إنه تجديف وكفر لا يمكن أن تسمح به دول كبرى دورها الأول هو زرع إسرائيل فى مصر ورعاية نموها وازدهارها.

وسوف نسمع عن المزيد من هذا الصدام.

وسوف نكون شهودا لمعركة سوف تتعدد فصولا.

ولا شك أن أحد فصولها سيكون دق إسفين بين المسلمين والنصارى فى مصر ومحاولة الإدعاء بأن هناك اضطهادا دينيا.. والتهديد بعقوبات اقتصادية وقطع المعونة.. ونسمع هذا من الآن رغم أن وفد الكونجرس الذى جاء للتحقيق فى الموضوع.. كانت كل أقواله تنكر هذا الاضطهاد.

إنه الإفتراء دائما.

ولا مانع من أن يعاودوا الافتراء مرة أخرى وأخرى.

ولا مانع من أن يشفعوا افتراءهم بأعمال إرهابية مفتعلة وبتفجير الكنائس والمساجد.

إن الأيدى التى صنعت مليون قتيل فى رواندا ولم يخطر ببالها أن تندم أو تتوب أو تعترف بجرمها لا يستبعد منها ومن أمثالها أن ترتكب جرائم أخرى وأخرى.

والاستعمار الآن لم يعد هو الاستعمار الجريء الذى يجرد الأساطيل ويجيش الجيوش وإنما أصبح الآن استعمارا خسيسا لئيما يغسل يديه ويستعيذ من الوسواس الخناس ويستعمل أيدى الآخرين فى أغراضه.. ولا يقتل ولكن يستأجر القتلة يقتلون له بالفلوس ولا يسرق ولكن يستأجر اللصوص يسرقون لحسابه بالأجر.

الاستعمار الجديد تقوم الآن به شركات تصدير واستيراد ومراكز تدريب وتجنيد للعملاء.. ورؤساء عصابات لهم أرصدة بملايين الدولارات فى بنوك أمريكا ويعيشون منعمين مترفين فى شقق فاخرة فى جنيف ولندن غارقين فى بحار الشمبانيا.

وهذا يعنى أن استعمار اليوم لا يتعجل أمره.. وأن أسلوبه المفضل أصبح اسلوب النفس الطويل.

إنه الآن لا يتحرك بجيوشه ليحتل مدنا أو يحاصر قلاعا محصنة كما كان يصنع الصليبيون فى الماضى البعيد وإنما.. هو يتسلل الآن إلى الجذور ليقتلعها.. ويسمم الآبار.. ويقتل البذور.. ويلوث الينابيع وينشر الجراثيم ويبث الأفكار الأشد قتلا من الجراثيم.

والفيلم السينمائى.. والخبر الكاذب.. والتليفزيون الترفيهى.. والفكر المادى الملحد.. والعلمانية المنحلة ونشر العادات الاستهلاكية.. والرفاهية السطحية.. والعادات المظهرية.. والمسلسلات التى تقتل الوقت.. والإعلام المفترس الذى ينهمر علينا من الأقمار الصناعية عبر الفضاء ليمغنط العقول الفارغة.. وليفرغها من محتوياتها أكثر فأكثر.

كل هذا هو استعمار ذكى جديد فى ثوب باهر من الإلكترونيات يأخذ بالألباب وينسيك تماما أنه استعمار.. وأنه عدوان عليك.. وينسيك نفسك.. وينسيك مصالحك.. وينسيك أولادك.

والعدوان على العقل يجرى الآن على عدة مستويات وعلى عدة أصعدة.. على صعيد الإعلام التليفزيونى.. وعلى صعيد الجريدة المحلية.. وعلى صعيد الكتاب «فى الجامعة الأمريكية حدثونا عن كتاب مقرر على الطلبة يشتم النبى عليه الصلاة والسلام ويسخر من الإسلام لمؤلف شيوعى يهودى هو ماكسيم رودنسون».. وعلى صعيد الفيلم.. وعلى صعيد الأغنية.. وعلى صعيد الاقتصاد نجد ما هو أكثر «فيُعتدى على جيبك من خلال التضخم والغلاء والبطالة ويعتدى على عقلك من خلال أفلام خرافية بلا معنى» وكل هذه الخيوط يمسك بأطرافها استعمار اليوم.. وحيتان الصناعة والاقتصاد.. أمريكا وانجلترا وأوروبا وإسرائيل هم رواد هذا العدوان.

وأنت وأنا.. وكلنا.. أردنا أم لم نرد.. فى حرب مستمرة مع كل هذا.. فهكذا أراد بنا النظام العالمى الجديد.. الذى تمسك بأطرافه أمريكا.. وبين أنامل أمريكا تختفى إسرائيل.. وفى كفها يختفى أحبار الهيكل بأحلامهم المجنونة.. لنعيش فى حرب لا تنتهى.

وكنت أظنها حربا قصيرة المدى تنتهى فى الخمس سنوات القادمة.. ولكنى أراها اليوم.. أطول مما ظننت.. وربما أظلت العشر سنوات القادمة.. وربما أكثر.. إلا إذا تداركنا الله بلطفه.

إنه الامتحان الطويل الذى لن تكون نهايته إلا نهاية الدنيا نفسها.

وهو عمليات الجرد لحصاد التاريخ كله والتصفيات النهائية لعداوات العصور.

ووقفة كل نفس منا هي الآن مع الله أولا وأخيرا.. وما كل هؤلاء إلا ادواته وأسبابه لامتحاننا واختبارنا.. وما التاريخ كله.. إلا ملفات لأمم بأفرادها ورؤوسها وحكامها.. وهم يمرون واحدا واحدا أمام جهاز تسجيل دقيق لا يفوته شيء.

وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.. «ومع كل فرد كتاب أعماله».

﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾.

إن التاريخ كله والسياسة عبر هذا التاريخ هي مسلسل طويل متتابع من الإجرام والمكر.. يتولاه أكابر المجرمين الذين كانوا رؤوس هذا التاريخ وأباطرته وحكامه.

وما يفعل رؤوس عصابات اليوم.. إلا ما كان يفعله رؤساء عصابات الأمس.. وهم اليوم أكثر نفيرا.. وأكثر جندا.

واقرؤوا التاريخ من أوله يا سادة.. من أيام قابيل وهابيل.. إلى حروب التتار والمغول والفندال إلى حروب الاسكندر وهانيبال إلى حروب هتلر ونابليون.

إنه طريق دموي كله.

وفي كل خطوة كان المحاربون يقولون إنهم يحاربون من أجل العدل ومن أجل السلام.

وأين هو العدل..؟!!

وأين السلام..؟!!

سلام على إبراهم في العالمين.

إنما توجد روائح السلام حيثما توجد روائح النبوة.. وما عدا ذلك أكاذيب.

لا إله إلا الله
لا إله إلا هو يتجلى في الوجود
خلقا وصنعا وحكمة وملكا كبيرا
ظـــاهرا أينما تلفت القلب في
السموات والأرض رامزا ومشيرا
صفحـــة الكـــون إن تأملت رقه
المنشور سطرت صفاته بها تسطيرا
أينما توجهت ثم آياته تلـوح
للعين تبهر السميع البصيرا
هي أسماءوه وأوصافه تجلت
صـــورا توقظ الألباب والتفكيرا

ترى هل يصحـو العرب على واقـعهم ويدركون أخـطار الغابة التي تتهددهم ويجتمـعون على كلمة.. أم يكون شأنهم شأن الزبد الذي يذهب جفاء؟!! فلا يبقى لهم ذكر.

نسأل الله العافية.